

الطبيعة والإلهام

الطبيعة هي تلك اللوحة العبقريّة التي تجسد كل ما في هذا الكون الذي نعيش فيه من جمال وكمال وحكمة... إنها ذلك الشعاع الذي يجعل كل شيء يسكن فيه ويتعبد في محرابه مضيئاً ومثيراً. الطبيعة هي النسيم الذي يسحر كل مخلوق يعانقه بصفاء وحنان، والشهد الذي يغذي روح الإنسان ويفرح قلبه... إنها ينبوع الشفاء الذي يداوي جراح كل من يرشف من نبعه النقي، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً. الطبيعة هي مهد الحب، وعنوان الشوق، وأطياف العشق، ونبع الإلهام الذي يجعل للفكر معنى، وللتأمل سحراً، وللتعبد مغزى، وللحياة مضمون ورسالة عظيمة.

حين يجلس الإنسان وحده مع الطبيعة يستمتع بجمالها، ويتأمل عظمتها، ويسرح بخياله مع خيالها، يشعر بأن شيئاً جديداً ومثيراً يولد في داخله من دون أن يكون له دور في خلق ذلك الشيء المريح، ما يجعله يشعر بأنه يتحول تدريجياً إلى إنسان عاشق للجمال... إنسان ولد في لحظة عناق مع عظمة الكون وأحاسيس الكون وكمال الكون. إن مَنْ يتمعن في الطبيعة ويرى ما فيها من عصافير تغني، وأنهار تجري، ونباتات تُصلي، وأزهار وورود تتعبد في محراب الشمس وتستحم في أشعتها، وسهول وجبال وغابات تتلون بألوان قوس قزح، وفرشات تهاجر آلاف الأميال بحثاً عن رحيق الزهر، يدرك عبقرية الطبيعة وعظمة خالقها. إن الإنسان الذي يبحث عن هدوء الروح ونقاء النفس وراحة البال، والعاشق الذي يبحث عن معنى لعشق يعذب قلبه وروحه التواقة للحرية، والمفكر الذي يبحث عن نبع إلهام يساعده على اكتشاف الذات والتعرف على الآخر وإستشراق معالم المستقبل، عليه أن يجلس في رحاب الطبيعة في صمت، يتأمل علو جبالها، وغزارة أنهارها وأمطارها، وتنوع نباتاتها، وتعدد ألوان أزهارها وفرشاتها وطيورها، عليه أن يتمعن في كمال الطبيعة وأن يدرس قوانينها ويتعرف على كنوزها وأسرارها.

إن من يعطي نفسه فرصة كافية كي يعيش مع الطبيعة ساعة أو ساعتين بين الحين والآخر، ينتصت على همساتها، تنزل من أعالي الجبال إلى قاع الوديان، تطير مع العصافير بعيداً وتعود مع الفراشات المهاجرة، يدرك معنى الحب والكمال والحكمة في هذا الكون. يدرك معنى الحب الذي يعبر عن نفسه حين يشارك الإنسان غيره من البشر شعورهم بالفرح، ويتعرف على فحوى الكمال الذي جعل جميع ما في هذا الكون من مخلوقات وأشياء كل لا يتجزأ، ويشعر بعمق الحكمة التي تقودنا لإدراك أن كل ذكر وأنثى هو مصدر للحياة ونبعاً يحددها باستمرار،. إن الجمال والمتعة وراحة النفس التي يقضي الإنسان حياته يبحث عنها تسكن في الأشياء البسيطة، في الوردة التي تهدي عطرها لكل سائل من دون مقابل، في النسمة التي

تتعش الروح بتواضع كأنها تستجدي عطف الإنسان، في الحيوان الصديق الذي يودعك في الصباح
ويستقبلك في المساء عائداً إلى البيت، وفي البسمة التي تنير عيون الأطفال، وتتفتح كالوردة في عيون
الفقراء والضعفاء حين تخاطبهم باحترام، وتمد لهم يد العون عن طيب خاطر.

www.yazour.com

د. محمد ربيع